المسلم بين الإتّباع والتّقليد

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 10 من صفر 1435هـــ الموافق لـــ 13 ديسمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، حديثنا حول موضوع:

المسلم بين الإتّباع والتّقليد

إخوتي الكرام،

هناك المسلم العاقل ذو الشّخصيّة القويّة، وهناك المسلم الجاهل ذو الشّخصيّة الضّعيفة الّتي تتأثّر بسرعةٍ، فالأوّل تجده يسلك طريق الإتّباع، أي اتّباع المعصوم محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – ، وبذلك يأمن من الخطأ والزّلل والإنحراف، أمّا الثّاني الجاهل صاحب الشّخصيّة الضّعيفة فيتّبع كلّ ناعقٍ، ويتأثّر بكلّ جديدٍ، ولو كان سُمًّا في عسلٍ، وهذا حال المقلّد، الّذي يقلّد كلّ من هَبَّ وَدَبَّ.

قال تعالى واصفًا أهل الفلاح والفوز:

" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿ 157 ﴾ " سورة الأعراف.

فالله تعالى يدعو أهل الكتاب إلى اتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — المُبَشَّرِ به في كتبهم، والّذي أحلّ لهم طيّباتٍ كانت محرّمةً عليهم، ووضع عنهم مشاقَّ، وما حرّم عليهم إلاّ الخبائث، ويؤكّد لهم أنّ من اتّبع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — ونصره وأيّده يكون مفلحًا في الدّنيا والآخرة.

إخوتي الكرام،

إنّ جيل الصّحابة - رضوان الله عليهم - فهموا أنّ طريق الفلاح في الآخرة والسّعادة في الدّنيا مرهونٌ باتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — ، فكانوا يتبعون النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — في أدقّ التّفاصيل حتّى في الأمور البشريّة.

فهذا أنسٌ بن مالكٍ — رضي الله عنه - الّذي لم يكن يحبّ الدُّبّاءَ، فلمّا عَلِمَ بِحُبِّ النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — للدّبّاء أحبّها، وقال لأهله: (**إصنعوا لنا طعامًا بالدّبّاء**)،

فقيل له: (**إنّك لا تحبّها!**)،

فقال: (**علمتُ أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يحبّها فأحببتها**).

وكانوا لا يسألون لماذا، بل متى ثبت لهم فعل النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — لشيءٍ فعلوه، واتّبعوه دون سؤالٍ ولا تقاعسٍ، فهموا أنّ الفلاح في اتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -.

روى البخاري ومسلمٌ عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ، أنّه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله، فقال: (**إنّي أعلم أنّك حجرٌ، لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يقبّلك ما قبّلتك**).

واتّباع النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – كان في كلّ أمرٍ أمر به أو نهى عنه.

روى البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: { **اتّخذ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خاتمًا من ذهبٍ، فاتّخذ النّاس خواتيم من ذهبٍ، فقال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –** : (**إنّي اتّخذت خاتمًا من ذهبٍ**)، **فَنَبَذَهُ** وقال: (**إنّي لن ألبسه أبدًا**)، **فنبذ النّاس خواتيمهم** }.

بل إنّ الصّحابة – رضوان الله عليهم – والعلماء الرّبّانيّون حذّروا من اتّباع الصّالحين الأحياء وتقليدهم، بل وجّهونا إلى الإقتداء بالأموات الصّالحين، لأنّهم لا يُخْشَى عليهم التّغيير خلافًا للأحياء.

قال الشّاطبي في الإعتصام عن عليٍّ – رضي الله عنه – قال: (**إيّاكم والاستنان بالرّجال، فإنّ الرّجل لَيَعْمَلُ بعمل أهل الجنّة، ثمّ ينقلب لِعِلْمِ الله فيه فيعمل بعمل أهل النّار، فيموت وهو من أهل النّار، وإنّ الرّجل لَيَعْمَلُ بعمل أهل النّار، فينقلب لِعِلْمِ الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنّة، فيموت وهو من أهل الجنّة، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فبالأموات لا بالأحياء، وأشار إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه الكرام**).

لكن في هذا الزّمان ظهرت أجيالٌ ضعيفة الشّخصيّة، كالرّيشة في مهبّ الرّياح، رياح الغرب الفاجر الفاسق الكافر، لذلك فالمولى جلّ في علاه حذّرنا من تقليدهم، وذمّ من يقلّدهم:

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿170﴾ " سورة البقرة.

واحدٌ يقلّد الآباء، واحدٌ يقلّد ما تعارف عليه المجتمع، واحدةٌ تقلّد ممثّلةً، أخرى فنّانةً كافرةً، واحدٌ يقلّد لاعب كرة قدمٍ، وواحدةٌ تتّبع هواها الّذي هو مع حبّ الكافرات الفاجرات.

" فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿50﴾ " سورة القصص.

وتقليدهم واتّباعهم في الأشكال مظنّة محبّتهم، وكيف تحبّ من يكفر بالله تعالى والله يقول لك:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴿ 1 ﴾ " **سورة الممتحنة.**

وقد ثبت في الصّحيحين قول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم حذو القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حتّى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه**)،

قالوا: (**اليهود والنّصارى؟**)،

قال: (**فمن؟**).

ومشكل المسلمين كبيرٌ جدًّا، حيث اتّبعوا النّصارى واليهود في العقائد والشّرائع، والمعاملات والعادات والتّقاليد.

ففي الشّرائع تجد من يقول لك: (**إنّ الشّريعة لا تَصْلُحُ لهذا الزّمان!**)، ومنهم من يفضّل الحبس على القصاص في الدّماء الّذي أمر به تعالى:

" وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ 179 ﴾ "

سورة البقرة.

وفي الإعتقاد تشبّه بعض المسلمين باليهود والنّصارى، ففعلوا فعلهم في الأنبياء والصّالحين، فعظّموهم إلى درجةٍ أعطوهم خصائص الألوهيّة، فعبدوهم من دون الله

تعالى، فاستغاثوا بهم وطلبوا منهم الحاجات ودفع الكربات، واتّخذوا قبورهم مزاراتٍ تجلب لهم النّفع وتدفع المضرّات.

وإنّ المسلم لَيُصَابُ بالأسى والألم ويتملّكه الحزن على أحوال كثيرٍ من أبناء المسلمين، الّذين يلهثون خلف العادات الوافدة من الأعداء، يَقْبَلُونَهَا لضعف إيمانهم وشخصيّتهم الفارغة، كاتّباع قصّات الشّعر الّتي نهى عنها النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، والمُشَاكَلَةِ في لبس ذلك السّروال النّازل، وتقليد الفتيات للكافرات في ارتداء ألبسةٍ كاشفةٍ ضيّقةٍ تجسّم المرأة، وسراويل لاصقةٍ بالجسد تكشف كلّ شيءٍ وكأنّها عاريةٌ، واستعمال أدوات الزّينة وكأنّها في ليلة زفافها، وقد ثبت تحذير النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – من كلّ ذلك.

ثبت في المسند بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قول النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – : (**ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم**).

وقد جاءت شريعتنا بتحريم تشبّه الرّجال بالنّساء، وتشبّه النّساء بالرّجال، روى أبو داود وصحّحه النّوويّ، وهو في صحيح أبي داود للألباني، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (**لعن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – الرّجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرّجل**).

وكثيرٌ من الفتيات أصبحن يلبسن لبسة الرّجل (جينز وجاكيتا وبسكات).

كما روى أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ على شرط البخاري ومسلمٍ عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: { **رأى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – صَبِيًّا قد حُلِقَ**

بعض رأسه وتُرِكَ بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: (أحلقوه كلّه أو إتركوه كلّه) }.

قال النّووي – رحمه الله – : (**وقد أجمع العلماء على كراهة القزع، إلاّ أن يكون لمداواةٍ ونحوها**).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

إنّ من مظاهر تقليد النّصارى الإحتفال بأعيادهم والفرح فيها، وصنع الحلويّات والشّكولاتة، والتّهنئة برأس السّنة الميلاديّة، وقد نهانا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عن الإحتفال بأعياد النّصارى، كرأس السّنة الميلاديّة.

روى أبو داود وأحمد والنّسائي وإسناده صحيحٌ على شرط مسلمٍ، عن أنسٍ بن مالكٍ – رضي الله عنه – قال: (**قدم علينا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال:** (**ما هذان اليومان؟**)،

قالوا: (**كنّا نلعب فيهما في الجاهليّة**)،

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**إنّ الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر**) }.

فالنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – لم يقرّهما على الإحتفال بهما لأنّ الإبدال يقتضي ترك المبدّل.

ولما رواه البيهقي عن عمر – رضي الله عنه – أنّه قال : (**اجتنبوا أعداء الله في عيدهم**)،

وهذا النّهي عن لقائهم والإجتماع بهم، فكيف بمن احتفل بعيدهم وسافر إليهم، أو أكل الحلويّات واشترى الشّكولاتة (La buche)، أو صنعها للنّاس ليشتروها ويحتفلوا بعيد النّصارى.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: (**الأعياد من أخصّ ما تتميّز به الشّرائع، ولا ريب أنّ الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة**) من كتاب "إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" ص. 205.

وقال ابن القيّم في أحكام أهل الذّمّة: (**أمّا التّهنئة بشعائر الكفر المختصّة بهم فحرامٌ بالإتّفاق، وهو بمنزلة أن تهنّأه بسجوده للصّليب، فمن هنّأ عبدًا بمعصيّةٍ أو بدعةٍ أو كفرٍ، فقد تعرّض لمقت الله وسخطه**).

وقد قال سبحانه:

" **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿72﴾** " **سورة الفرقان.**

قال قتادة ومجاهدٌ: (**لا يشهدون الزّور: لا يحضرون أعياد الكفّار**).

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين، وانصرهم على أعداء الدّين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.